وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ
عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ
ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾
وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ
أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾
هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن
دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ
وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾ سجدة

سُورَةُ الْقَمَرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟
وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ
وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ
مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ
﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾

٥٢٨

معانى الكلمات :

الزوجين : الصنفين .

تمنى : تدفق فى الرحم .

أقنى : أفقر .

الشعرى : كوكب معروف كانوا يعبدونه فى الجاهلية .

عادا الأولى : قوم هود عليه السلام .

المؤتفكة : قرى قوم لوط .

أزفت : اقتربت .

سامدون : لاهون غافلون .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم بعض مظاهر قدرة الله تعالى .

٢ ـ أن نتعلم الاعتبار بمصارع الغابرين .

٣ ـ أن نتعرف على معجزة انشقاق القمر ، وهو نذير ليوم القيامة .

المحتوى التربوى :

يمضى السياق فى عرض بعض مظاهر القدرة الإلهية ، وأن الله خلق الزوجين ، وهى الحقيقة الهائلة الواقعة المتكررة فى كل لحظة ، فينساها الإنسان لتكرارها أمام عينيه وهى أعجب من كل عجيبة ؛ نطفة تمنى ، تراق .. إفرازات من إفرازات هذا الجسد الإنسانى الكثيرة كالعرق والدمع والمخاط ، فإذا هى بعد فترة مقدورة فى تدبير الله، إذا هى ماذا ؟ إذ هى إنسان ، وإذا هذا الإنسان ذكر أو أنثى ، وأى قلب بشرى يقف أمام هذه الحقيقة الهائلة العجيبة .

ومن النشأة الأولى يتجه مباشرة إلى النشأة الأخرى ، والنشأة الأخرى غيب ولكن عليه من النشأة الأولى دليل على إمكان الوقوع ؛ فالذى خلق الزوجين قادر على إعادة الخلق ، ودليل على

حكمة الوقوع ؛ فهذا التدبير الخفى الذى يقود الخلية الحية الصغيرة فى طريقها الطويل الشاق حتى تكون ذكراً أو أنثى ، هذا التدبير لابد أن يكون مداه أبعد من رحلة الأرض التى لا يتم فيها شىء كامل ؛ لأن فى حساب هذا التدبير نشأة أخرى يبلغ فيها كل شىء تمامه ، فدلالة النشأة الأولى مع النشأة الأخرى مزدوجة ، ومن هنا جاء ذكرها هكذا قبل النشأة الأخرى .

وفى النشأة الأولى ، وفى النشأة الأخرى يغنى الله من يشاء من عباده ويقنيه ، أغنى من عباده من شاء فى الدنيا بأنواع الغنى وهى شتى : غنى المال . وغنى الصحة . وغنى الذرية . وغنى النفس وغنى الفكر وغنى الصلة بالله والزاد الذى ليس مثله زاد ، وأغنى من عباده من شاء فى الآخرة من غنى الآخرة ، وأفقر من شاء من عباده ، والله عز وجل رب الشعرى نجم أثقل من الشمس ، وقد كان هناك من يعبد هذا النجم .

وينتقل السياق إلى جولة سريعة فى مصارع الغابرين بعد ما جاءتهم النذر فكذبوا بها كما يكذب المشركون ، وعاد وثمود وقوم نوح يعرفهم قارئ القرآن فى مواضع شتى ، والمؤتفكة هى أمة لوط من الإفك والبهتان والضلال ، وقد أهواها فى الهاوية وخسف بها خسفا يشمل كل شىء ويغشاه فلا يبين ، ولقد كانت إذن تلك المصارع آلاء لله وأفضالا ألم يهلك البشر ؟ ألم يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ؟ ألم يترك فيها آيات الله لمن يتدبر ويعى؟ أليست هذه كلها آلاء ، ففى أى نعم الله عليك أيها الإنسان تمترى ؟

وتلقى صيحة الخطر قبيل الطامة الكبرى، فهذا الرسول الذى تمارون فى رسالته وفى نذارته ، هذا نذير من النذر الأولى التى أعقبها ما أعقبها ، وقد أزفت الآزفة واقتربت كاسحة جارفة ، وهى الطامة والقارعة التى جاء هذا النذير يحذركم إياها أو هول العذاب الذى لا يعلم إلا الله نوعه وموعده ، ولا يملك إلا الله كشفه ودفعه ، وبينما الخطر الداهم قريب ، والنذير الناصح يدعوكم إلى النجاة ، إذا أنتم سادرون لا هون لا تقدرون الموقف ولا تفيقون ، فمم تعجبون ، ومم تضحكون ؟ مع هذا الجد الصارم ، وهنا يهتف بهم إلى ما ينبغى أن يتداركوا به أنفسهم وهم على حافة الهاوية ، فاخضعوا له وأخلصوا له ووحدوا ، ومن ثم سجدوا ، وهم مشركون ، وهم يمارون فى الوحى والقرآن وهم يجادلون فى الله والرسول ! لا يملكون أن يقاوموا وقع هذا القرآن ، ولا أن يتماسكوا لهذا السلطان .

سورة القمر

يبدأ السياق بذكر اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها ، وانشقاق القمر ، ولقد رأوا الحدث الأول فلم يبق إلا أن ينتظروا الحدث الأكبر ، والروايات عن انشقاق القمر ورؤية

العرب له فى حالة انشقاقه أخبار متواترة ، تتفق كلها فى إثبات وقوع الحادث ، وتختلف فى رواية هيئته تفصيلا وإجمالا .

وانشقاق القمر كان آية كونية يوجه القرآن القلوب والأنظار إليها ، كما يوجهها دائما إلى الآيات الكونية الأخرى، ويعجِّب من أمرهم وموقفهم إزاءها ، كما يعجب من مواقفهم تجاه آيات الله الكونية الأخرى ، قد جاء القرآن ليقف بالقلب البشرى فى مواجهة الكون كله وما فيه من آيات الله الثابتة القائمة ،و يصله بهذا الكون وآيات الله فيه فى كل لحظة لا مرة عارضة فى زمانهم محدود ، يشهدها جيل من الناس فى مكان محدود .

إن الكون كله هو مجال النظر والتأمل فى آيات الله التى لا تنفد ، ولا تذهب ولا تغيب ، وهو بجملته آية ، وفى مطلع السورة تجيء الإشارة إلى اقتراب الساعة وانشقاق القمر إيقاعا يهز القلب البشرى هزًّا ، وهو يتوقع الساعة التى اقتربت ويتأمل الآية التى وقعت .

ومع اقتراب الموعد المرهوب ووقوع الحادث الكونى المثير ، وقيام الآيات التى يرونها فى صور شتى ، فإن تلك القلوب كانت تلج فى العناد وتصر على الضلال ، ولا تتأثر بالوعيد ، ولقد أعرضوا وقالوا : سحرنا ، وهم يرون آية الله فى انشقاق القمر ، وكان هذا رأيهم مع آية القرآن ، فكلما رأوا آية قالوا:سحر مستمر لا ينقطع ، معرضين عن تدبر طبيعة الآيات وحقيقتها ، معرضين كذلك عن دلالتها وشهادتها وكذبوا بتلك الآيات وبشهادتها ، كذبوا اتباعا لأهوائهم لا استنادًا إلى حجة ، وكل شيء فى موضعه فى هذا الوجود الكبير ، وكل أمر فى مكانه الثابت الذى لا يتزعزع .

ولقد جاءهم أنباء الآيات الكونية التى صرفها الله لهم فى هذا القرآن ، وأنباء المكذبين قبلهم ومصارعهم ، وأنباء الآخرة التى صورها القرآن لهم ، وكان فى هذا كله زاجر رادع لمن يزدجر ويرتدع ، وكان فيه من حكمة الله ما يبلغ القلوب ويوجهها إلى تدبيره الحكيم ، ولكن القلوب المطموسة لا تتفتح لرؤية الآيات والانتفاع بالأنباء ، واليقظة على صوت النذير بعد النذير ، وما تغنى النذر ، ؟ إنما هو الإيمان هبة الله للقلب المتهيئ للإيمان المستحق لهذا الإنعام ، ويتوجه الخطاب للرسول بتركهم يلاقون اليوم الذى فيه الهول الفظيع .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ هزيمة الشر وانتصار الخير سنة من السنن الإلهية .

٢ ـ يجب أن نخشع عند سماع القرآن الكريم أو تلاوته وأن نتدبر معانيه وأن نعمل بما فيه .

٣ ـ اقتراب وقوع القيامة ونهاية هذا العالم ، وعلى المسلم الحرص على الخير والحذر من المعاصى .

خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾
مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا
رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ
﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾
وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ
كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ
﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ
نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا أَبَشَرًا
مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ
مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ
ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

٥٢٩

معانى الكلمات :

خشعا : ذليلة خاضعة .

الأجداث : القبور .

خسر : صعب شديد .

منهمر : منصب بشدة وغزارة .

قدر : مقدر أزلا .

دسر : مسامير تشد بها الألواح .

منقعر : منقلع .

كذاب أشر : بطر متكبر .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على مشاهد التنكيل والتعذيب الذى أصاب بالفعل أجيال المكذبين .

٢ ـ أن نعلم أن القرآن الكريم قريب المأخذ سهل التناول حتى يتخذه الناس منهج حياة .

٣ ـ أن نعلم أن قوة الإنسان مهما كانت أمام قوة الله تعالى هى لا شىء ولا ترد عذاب الله بحال .

المحتوى التربوى :

يصور السياق مشهداً من مشاهد يوم القيامة وهو متقارب سريع مكتمل السمات والحركات: هذه جموع خارجة من الأجداث فى لحظة واحدة كأنهم جراد منتشر ، وهذه الجموع خاشعة أبصارها من الذل والهول وهى تسرع فى سيرها نحو الداعى الذى يدعوها لأمر غريب نكير شديد ، لا تعرفه ولا تطمئن إليه ، وفى أثناء هذا الخشوع والإسراع يقول الكافرون إن هذا اليوم شديد عسير ، وهى قولة المكروب المجهود الذى يخرج ليواجه الأمر الصعيب الرهيب .

ثم يأخذ فى عرض مشاهد التنكيل والتعذيب الذى أصاب بالفعل أجيال المكذبين من قبلهم، وعرض مصارع الأمم التى سلكت من قبل مسلكهم بادئا بقوم نوح ؛ فقد كذبوا

بالرسالة وبالآيات وبنوح عليه السلام وقالوا كما قالت قريش ظالمة عن محمد ﷺ : مجنون ، وهددوه بالرجم وآذوه بالسخرية ، وطالبوه أن يكف عنهم ونهروه بعنف ، وزجروه بدلا من أن ينزجروا هم ويرعووا ، وعندها عاد نوح إلى ربه الذى أرسله وكلفه مهمة التبليغ ، عاد لينهى إليه ما انتهى إليه أمره مع قومه وما انتهى إليه جهده وعمله ، ويدع له الأمر بعد أن لم تعد لديه طاقة لم يبذلها وبعد أن لم تبق له حيلة ولا حول ، فدعا ربه أن انتهت طاقتى . انتهى جهدى انتهت قوتى ، وغلبت على أمرى ، انتصر أنت يا ربى . انتصر لدعوتك . انتصر لحقك ، انتصر أنت فالأمر أمرك والدعوة دعوتك .

وما تكاد هذه الكلمة تقال ؛ وما يكاد الرسول يسلم الأمر لصاحبه الجليل القهار ، حتى تشير إليه القدرة القاهرة إلى عجلة الكون الهائلة الساحقة ، ويسند الفعل إلى الله مباشرة فيحس القارئ يد الجبار تفتح أبواب السماء لا بابًا منها وينهمر المآء غزيراً متواليا، وبالقوة ذاتها وبالحركة نفسها تنبثق العيون من الأرض كلها ، وكأنما الأرض كلها قد استحالت عيونا ، والتقى الماء المنهمر من السماء بالماء المتفجر من الأرض على أمر مقدر ، منهما على اتفاق لتنفيذ هذا الأمر المقدر ، طائعان للأمر محققان للقدر ، حتى إذا صار طوفان يطعم ويعم ، ويغمر وجه الأرض امتدت اليد القوية الرحيمة إلى الرسول الذى دعا دعوته فتحرك لها الكون كله ، امتدت له هذه اليد بالنجاة وبالتكريم ؛ فكان الحمل على السفينة وهى تجرى فى رعاية الله بملاحظة أعينه جزاء لهم على كفرهم بالله وانتصاراً لنوح ، وهو جزاء يمسح بالرعاية على الجفاء ، وبالتكريم على الاستهزاء ، ويصور مدى القوة التى يملك رصيدها من يُغلب فى سبيل الله ومن يبذل طاقته ، ثم يعود إليه يسلم له أمره وأمر الدعوة ويدع له أن ينتصر .

إن قوى الكون الهائلة كلها فى خدمته وفى نصرته ، والله من ورائها بجبروته وقدرته . على مشهد الانتصار الهائل الكامل ، يتوجه إلى القلوب التى شهدت المشهد كأنها تراه ، يتوجه إليها بلمسة التعقيب لعلها تتأثر وتستجيب ، فهذه الواقعة بملابساتها المعروفة ، تركناها آية للأجيال ، فهل هناك من يتذكر ويعتبر؟ ثم سؤال لإيقاظ القلوب إلى هول العذاب وصدق النذير ، وقد كان عذابا مدمراً جباراً ، وكان نذيراً صادقا بهذا العذاب ، وهذا هو القرآن حاضر، سهل التناول ، ميسر الإدراك ، فيه جاذبية ليقرأ ويتدبر ، فيه جاذبية الصدق والبساطة ، وموافقة الفطرة ، واستجاشة الطبع ، لا تنفذ عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ، وكلما تدبره القلب عاد منه بزاد جديد ، وكلما صحبته النفس زادت له ألفة وبه أنسا ، وهذا هو التعقيب الذى يتكرر ، بعد كل مشهد يصور ، ويقف السياق عنده بالقلب البشرى يدعوه دعوة هادئة إلى التذكر والتدبر بعد أن يعرض عليه حلقة من العذاب الأليم الذى حل بالمكذبين .

ثم تجيء الحلقة الثانية من مشاهد التعذيب العنيف ، ويبدأ بالإخبار عن تكذيب عاد ، وقبل أن يكمل الآية يسأل سؤال التعجيب والتهويل : كيف كان العذاب بعد تكذيب عاد ؟ ثم يجيب فى وصف خاطف رعيب ، بأنه أرسلت عليهم ريح باردة شديدة البرد ، فى يوم شؤم عليهم ، وأى نحس يصيب قوما أشد مما أصاب عاد ، والريح تنزعهم وتجذبهم وتحطهم ، فتدعهم كأنهم أعجاز نخل مهشمة مقلوعة من تعورها ؟ ! ويكرر سؤال التعجيب والتهويل والوصف المذكور هو الجواب ويختم الحلقة بالتعقيب المكرر فى السورة .

ثم تجيء الحلقة الثالثة ، وثمود كانت القبيلة التى خلفت عاداً فى القوة والتمكين فى جزيرة العرب ، كانت عاد فى الجنوب وكانت ثمود فى الشمال ، وكذبت ثمود بالنذر كما كذبت عاد ، غير معتبرة بمصرعها المشهور فى أنحاء الجزيرة والشبهة التى تحيك فى صدر المكذبين جيلا بعد جيل ، هى كيف يلقى الوحى على بشرين دونهم ، وكيف يصيرون أتباعا ، وماذا فى أن يختار الله واحداً من عباده والله أعلم حيث يجعل رسالته، إنها شبهة واهية لا تقوم إلا فى النفوس المنحرفة، النفوس التى لا تريد أن تنتظر فى الدعوى لترى مقدار ما فيها من الحق والصدق ، ولكن إلى الداعية فتستكبر من اتباع فرد من البشر ، مخافة أن يكون فى اتباعها له إيثار وله تعظيم وهى تستكبر عن الإذعان والتسليم،وأعجب شيء أن يصفوا أنفسهم بالضلال لو اتبعوا الهدى، وأن يحسبوا أنفسهم فى سعر لا فى سعير واحد إذا هم فاؤوا إلى ظلال الإيمان .

ومن ثم يتهمون رسولهم الذى اختاره الله ليقودهم فى طريق الحق والقصد ، يتهمونه بالكذب والطمع ، فهو كذاب لم يلق عليه الذكر شديد الطمع فى اختصاص نفسه بالمكانة ، وهو الاتهام الذى يواجه به كل داعية ، اتهامه بأنه يتخذ الدعوة ستاراً لتحقيق مآرب ومصالح ، وهى دعوى المطموسين الذين لا يدركون دوافع النفوس وحركات القلوب .

ويلتفت السياق فجأة وكأنما الأمر حاضر والأحداث جارية ، فيتحدث عما سيكون ، ويهدد بهذا الذى سيكون، سيكشف لهم الغد عن الحقيقة ، ولن يكونوا بمنجاة من وقع هذه الحقيقة ، فستكشف عن البلاء المدمر للكذاب الأشر ، ويقف القارئ يترقب ما سيقع ، عندما يرسل الله الناقة فتنة لهم وامتحانا ، ويقف رسولهم مرتقبا ما سيقع ، مؤتمرا بأمر ربه فى الاصطبار عليهم حتى تقع الفتنة ويتم الامتحان .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ ضرورة الاتعاظ بما نزل بالأمم السابقة من تعذيب وإهلاك ؛ نظراً لتكذيبهم الرسل .

٢ ـ الله تعالى ينصر رسله ومن يتبع رسله ويؤيدهم بجنود من عنده .

٣ ـ قدرة الله لا حدود لها فى قضائه على من يخالف أمره .

ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر ﴿٢٨﴾ فنادوا صاحبهم
فتعاطى فعقر ﴿٢٩﴾ فكيف كان عذابي ونذر ﴿٣٠﴾ إنا أرسلنا عليهم
صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ﴿٣١﴾ ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر ﴿٣٢﴾ كذبت قوم لوط بالنذر ﴿٣٣﴾ إنا أرسلنا
عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر ﴿٣٤﴾ نعمة من عندنا
كذلك نجزي من شكر ﴿٣٥﴾ ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا
بالنذر ﴿٣٦﴾ ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا
عذابي ونذر ﴿٣٧﴾ ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر ﴿٣٨﴾
فذوقوا عذابي ونذر ﴿٣٩﴾ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
﴿٤٠﴾ ولقد جاء آل فرعون النذر ﴿٤١﴾ كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم
أخذ عزيز مقتدر ﴿٤٢﴾ أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة
في الزبر ﴿٤٣﴾ أم يقولون نحن جميع منتصر ﴿٤٤﴾ سيهزم الجمع
ويولون الدبر ﴿٤٥﴾ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر
﴿٤٦﴾ إن المجرمين في ضلال وسعر ﴿٤٧﴾ يوم يسحبون في النار
على وجوههم ذوقوا مس سقر ﴿٤٨﴾ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴿٤٩﴾

٥٣٠

معانى الكلمات :

قسمة : مقسوم .

محتضر : يحضره صاحبه فى نوبته .

المحتظر : صانع الحظيرة لمواشيه .

بطشتنا : أخذتنا الشديدة بالعذاب .

فطمسنا أعينهم : أعميناهم .

الزبر : الكتب السماوية .

أمر : أشد مرارة .

بقدر : بتقدير سابق أو مقدر محكم .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على مشاهد التنكيل والتعذيب الذى أصاب بالفعل أجيال المكذبين .

٢ ـ أن نعلم أن فوقية الإيمان وأهله سنة من سنن الله تتعالى فى كونه .

٣ ـ أن نتعلم حقيقة قدر الله وحكمته وتدبيره .

المحتوى التربوى :

صدرت التعليمات الإلهية بأن الماء فى القبيلة قسمة بينهم وبين الناقة ـ ولابد أنها كانت ناقة خاصة ذات خصائص معينة تجعلها آية وعلامة فيوم لها ويوم لهم تحضر يومها ويحضرون يومهم، وتنال شربها وينالون شربهم .

ثم يعود السياق إلى أسلوب الحكاية ، فيقص ما كان ذلك منهم فقداتفقوا على عقر الناقة واختاروا من بينهم من يقدم على الفعلة الشنيعة ، وتعاطى صاحبهم الخمر فسكر ليصير جريئا على الفعلة التى هو مقدم عليها ، وهى عقر الناقة التى أرسلها الله آية لهم ، وحذرهم رسولهم أن يمسوها بسوء فيأخذهم عذاب أليم ، وتمت الفتنة بعقرها صاحبهم الناقة ، ووقع البلاء ، ومجىء

سؤال التعجيب والتهويل قبل ذكر ما حل من العذاب بعد النذير ، وقد أرسلت على القوم صيحة واحدة ، ففعلت بهم ما فعلت ، مما جعلهم كالأعواد الجافة حين تيبس وتتحطم وتصبح هشيما ، وهو مشهد مفجع مفزع يعرض رداً على التعالى والتكبر ، وأمام هذا المشهد يرد قلوبهم إلى القرآن ليتذكر ويتدبر أو هو ميسر للتذكر والتدبر ثم يرفع الستار عن قصة قوم لوط ، وتبدأ بذكر ما وقع منهم من تكذيب بالنذر ، وعلى إثر هذه الإشارة يصف ما نزل بهم من النكال ، والحاصب : الريح تحمل الحجارة ، ولفظة الحاصب ذات جرس كأنه وقع الحجارة ، وفيه شدة وعنف تناسب جو المشهد ، ولم ينج إلا آل لوط ـ إلا امرأته ـ نعمة من عند الله جزاء إيمانهم وشكرهم ، فننجيه وننعم عليه فى وسط المهالك والمخاوف ، وطالما أنذروا لوط قومه عاقبة المنكر الشاذ الذى كانوا يأتونه ، فتماروا بالنذر ، وشكوا فيها وارتابوا ، وتبادلوا الشك والارتياب فيما بينهم وتداولوه ، وجادلوا نبيهم فيه .

وبلغ منهم الفجور والاستهتار أن يراودوه هو نفسه عن ضيفه ـ من الملائكة ـ وساوروا لوطا يريدون الاعتداء المنكر على ضيوفه ، غير محتشمين ولا مستحيين ، ولا متحرجين من انتهاك حرمة نبيهم الذى حذرهم وأنذرهم عاقبة هذا الشذوذ القذر المريض .

وعندئذ تدخلت يد القدرة ، وتحرك الملائكة لأداء ما كلفوه وجاؤوه من أجله ، فطمسوا على أعين قوم فلم يعودوا يرون شيئا ولا أحداً ، وصاروا ممتنعين من أن يصلوا إليه ، وبينما السياق يجرى مجرى الحكاية ، إذا به حاضر مشهود ، وإذا الخطاب يوجه إلى المعذبين ، فهذا هو العذاب الذى حذرتم منه ، وهذه هى النذر التى تماريتم فيها ، وكان طمس العيون فى المساء ، فى انتظار الصباح الذى قدره الله لأخذهم جميعا ، وهو ذلك العذاب الذى عجل بذكره السياق ، ومرة أخرى تتغير طريقة العرض ، ويستحضر المشهد كأنه اللحظة واقع ، وينادى المعذبون وهم يعانون العذاب أن ذوقوا ما وعدتم به ، ويجىء التعقيب المألوف عقب المشهد العنيف من أن القرآن للذكر فهل من يتذكر .

وتختصر قصة فرعون وملئه فى طرفيها : مجئ النذر لآل فرعون وتكذيبهم بالآيات التى جاءهم بها رسولهم ، وأخذهم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر ، والإشارة إلى العزة والاقتدار تلقى ظلال الشدة فى الأخذ ، وفيها تعريض بعزة فرعون واقتداره على البغى والظلم ، فقد ضاعت العزة الباطلة، وسقط الاقتدار الموهوم ، وأخذه الله إليه ـ هو وآله . أخذ عزيز حقا مقتدر صدقا، أخذهم أخذاً شديداً يناسب ما كانوا عليه من ظلم وغشم وبطش وجبروت .

ويتوجه السياق بالخطاب إلى المكذبين يحذرهم مصرعا كهذه المصارع ، وينذرهم ما هو أدهى وأفظع ؛ إنه الإنذار بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، وإسقاط كل شبهة وكل شك فى صدق هذا

الإنذار ، فتلك مصارع المكذبين فما يمنعكم أنتم من مثل ذلك المصير ؟ وما ميزة كفاركم على أولئكم ؟ أم لكم براءة تشهد بها الصحائف المنزلة ، فتعفوا إذن من جرائر الكفر والتكذيب ؟ لا هذه ولا تلك ، فلستم خيرًا من أولئكم ، وليست لكم براءة فى الصحائف المنزلة ، وليس هنالك إلا لقاء المصير الذى لقيه الكفار من قبلكم فى الصورة التى يقدرها الله لكم .

ثم يلتفت عن خطابهم عام ، يعجب فيه من أمرهم ، وذلك حين يرون جمعهم فتعجبهم قوتهم ، ويفترون بتجمعهم ، فيقولون : إنا منتصرون لا هازم لنا ولا غالب ، وهنا يعلنها عليهم مدوية قاضية حاسمة ، فلا يعصهم تجمعهم ، ولا تنصرهم قوتهم ، والذى يعلنها عليهم هو القهار الجبار ، ولقد كان ذلك كما لابد أن يكون ، فلما كان يوم بدر هزمت قريش وولت أدبارها

وكانت هذه هزيمة الدنيا ولكنها ليست هى الأخيرة ، وليست هى الأشد والأدهى ، فهو يضرب عن ذكرها ليذكر الأخرى وهى الساعة فهى أدهى وأمر من كل عذاب رأوه أو يرونه فى هذه الأرض ، وأدهى وأمر من كل مشهد رأوه مرسوما فيما مر : من الطوفان ، إلى الصرصر ، إلى الصاعقة ، إلى الحاصب ، إلى أخذ فرعون وآله أخذ عزيز مقتدر .

ثم يفصل كيف هى أدهى وأمر ، يفصل هذا فى مشهد عنيف من مشاهد القيامة ؛ فالمجرمون فى ضلال يعذب العقول والنفوس ، وفى سعر تكوى الجلود والأبدان ، وهم يسحبون فى النار على وجوههم فى عنف وتحقير ، وهم يرادون عذابا بالإيلام النفسى عندما يقال لهم ذوقوا مس سقر .

ويتجه السياق إلى الناس كافة وإلى القوم خاصة ، وليقر فى قلوبهم حقيقة قدر الله وحكمته وتدبيره ، فذلك الأخذ فى الدنيا، وهذا العذاب فى الآخرة ، وما كان قبلها من الرسالات ونذير، ومن قرآن وزبر ، وما حول ذلك كله من خلق ووجود وتصريف لهذا الوجود ، هذا وكل صغيرة وكبيرة مخلوقة بقدر ، مصرفة بقصد ، مدبرة بحكمة، لا شىء جزاف ، لا شىء عبث ، لا شىء مصادفة ، لا شىء ارتجال كل شىء كل صغير وكل كبير كل ناطق وكل صامت . كل متحرك وكل ساكن ، كل ماض وكل حاضر كل معلوم وكل مجهول كل شىء خلقناه بقدرة وبقدر يحدد حقيقته وصفته ومقداره ومكانه وتأثيره .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ اللواط من أفحش الجرائم وأقبحها ، ويستحق مرتكبة أغلظ العقوبات .

٢ ـ اللجوء إلى الله والتضرع إليه بالدعاء مع بذل الجهد وتفويض الأمر إلى الله تعالى .

٣ ـ كل صغير أو كبير وكل تصريف لهذا الوجود مخلوق بقدر الله تعالى .

وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ
أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ
فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ
فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الرَّحْمَٰن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾
عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ
وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ
﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ
وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾
فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ
وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ
ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ
مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾

٥٣١

معانى الكلمات :

واحدة : مرة واحدة .

كلمح : كالنظر الخفيف السريع .

أشياعكم : أمثالكم .

مستطر : مكتوب فى اللوح المحفوظ .

بحسبان : بحساب مقدر .

الأكمام : أوعية التمر وهى الطلع .

العصف : القشر .

مارج : لهب صاف لا دخان فيه .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم صورة المتقين وهم يرفلون فى نعيم الآخرة .

٢ ـ أن نتعرف على آلاء الله فى الكيان الإنسانى .

٣ ـ أن نتعرف على آلاء الله فى المعرض الكونى العام .

المحتوى التربوى :

مع التقدير والتدبير القدرة التى تفعل أعظم الأحداث بأيسر الإشارات ، فهى إشارة واحدة أو كلمة واحدة يتم بها كل أمر : الجليل والصغير على السواء ، وليس هناك جليل ولا صغير وإنما ذلك تقدير البشر للأشياء ، وليس هنالك زمن ولا ما يعادل لمح البصر إنما هو تشبيه لتقريب الأمر إلى حس البشر ، فالزمن إن هو إلا تصور بشرى ولا وجود له فى حساب الله المطلق .

وهذه مصارع المكذبين أمثالهم معروضة فى هذه السورة فهل من معتبر ؟ ولم ينته حسابهم بمصارعهم الأليمة ، فوراءهم حساب لا يفلت منه شىء ، وكل ما فعلوه مسطر فى الصحائف ليوم الحساب ، لا ينسى منه شىء وهو مسطور فى كتاب .

ويعرض السياق صورة أخرى فى ظل وادع أمين ، صورة المتقين ، بينما المجرمون فى ضلال وسعر ، يسحبون فى النار على وجوههم مهانة وذلا ، ويلذعون بالتأنيب كما يلذعون بالسعير ، وهى صورة للنعيم بطرفيه ، نعيم الحس والجوارح فى تعبير جامع شامل وفى جنات ونهر ونعيم القلب والروح ، نعيم القرب والتكريم ، فهو فى مقعد ثابت مطمئن ، قريب كريم ، مأنوس بالقرب ، مطمئن بالتمكين ، ذلك أنهم المتقون الخائفون المترقبون ، والله لا يجمع على نفس خوفين : خوفها منه فى الدنيا ، وخوفها يوم القيامة ، فمن اتقاه فى العاجلة أمنه فى الآجلة .

سورة الرحمن

تبدأ السورة بإيقاع صاعد ذاهب إلى بعيد ، يجلجل فى طباق الوجود ، ويخاطب كل موجود ، ويبلغ إلى كل سمع وكل قلب ، فالله الرحمن يخبر عن فضله ورحمته بأنه علم القرآن ، هذه النعمة الكبرى التى تتجلى فيها رحمة الرحمن بالإنسان القرآن ، والقرآن الذى يفتح حواسهم ومشاعرهم على هذا الكون الجميل ، القرآن الذى يقر فى أخلادهم أنهم خلفاء فى الأرض ، أنهم كرام على الله وأنهم حملة الأمانة التى أشفقت منها السموات والأرض والجبال ، فيشعرهم بقيمتهم التى يستمدونها من تحقيق إنسانيتهم العليا ، بوسيلتها الوحيدة الإيمان الذى يحيى فى أرواحهم نفخة الله ، ويحقق نعمته الكبرى على الإنسان ، ومن ثم قدم تعليم القرآن على خلق الإنسان ، فيه يتحقق فى هذا الكائن معنى الإنسان .

وندع مؤقتا خلق الإنسان ابتداء فسيأتى ذكر فى مكانه فى السورة بعد قليل ، إذا المقصود من ذكره هنا هو ما تلاه من تعليمه البيان ، فإننا نرى الإنسان ينطق ويعبر ويبين ، ويتفاهم ويتجاوب مع الآخرين فتنسى بطول الألفة عظمة هذه الهبة ، وضخامة هذه الخارقة فيردنا القرآن إليها ، ويوقظنا لتدبرها فى مواضع شتى ، ثم يستطرد فى بيان آلاء الرحمن فى المعرض الكونى العام ، حيث تتجلى دقة التقدير فى تنسيق التكوين والحركة بما يملأ القلب روعة ودهشة، وشعوراً بضخامة هذه الإشارة ، وما فى طياتها من حقائق بعيدة الآماد عميقة الأغوار ، فالشمس والقمر يجريان متعاقبين بحساب مقنن لا يختلف ولا يضطرب .

وقد كانت الإشارة السابقة إلى الحساب والتقدير فى بناء الكون الكبير ، فأما هذه فهى إشارة إلى اتجاه هذا الكون وارتباطه ، وهى إشارة موحية إلى حقيقة هاوية ، فهذا الوجود مرتبط ارتباط العبودية والعبادة بمصدره الأول وخالقه المبدع ، والنجم والشجر نموذجان منه يدلان على اتجاهه كله ، والقرآن يقول : أنه يتجه إلى مبدعه بحركة روحه ـ وهى الحركة الأصلية فحركة ظاهرة لا تكون إلا تعبيرًا عن حركة روحه ، وهى الحركة التى تمثلها فى القرآن آيات كثيرة ، وتأمل هذه الحقيقة ومتابعة الكون فى عبادته وتسبيح مما يمنح القلب البشرى متاعا عجيبا ، وهو